الرفيقة سميرة حمد :

عندما كنت اتحدث للناس عن وحشية الفاشيين في لبنان كان حديثي يذكّرهم بالفاشية والنازية اثناء الحرب العالمية الثانية

تعلمت من اهالي التل الصمود والتحدي

جاءت الى لبنان متطوعة لتعمل في مستوصفات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من قبل احدى المنظمات اليسارية السويدية ...

لكنها ما لبثت ان اصبحت احد رموز البطولة لمخيم تل الزعتر ، واصبح اسمها يردد على كل شفة من شفاه سكان تل الصمود ...

انها سميرة (ايفا ستاهل) الممرضة السويدية التي اعطت الكثير للقضية الفلسطينية ولاهالي تل الزعتر ...

لقد احبت « ايفا » الشعب الفلسطيني وآمنت بقضيته العادلة ووثقت علاقتها بابنائه وبالقضية بزواجها من « يوسف حمد » المسؤول عن ادارة المستوصفات التابعة للجبهة الشعبية ...

كانت « ايفا » مثالا للمناضلة الصلبة التي صمدت بشجاعة اثناء حصار تل الزعتر واستطاعت ان تخفف الآلام عن الكثيرين من الاطفال والنساء .. لكنها فقدت من جراء القصف الانعزالي الوحشي على المخيم اشياء كثيرة وعزيزة ، فقدت يدها اليمنى واصيبت في رجلها اليسرى .. واستشهد زوجها « يوسف » كما فقدت الطفل الذي كانت تنتظره ...

لكن « سميرة » رغم ما اصابها على يد الفاشيين خرجت من تل الزعتر اكثر ايمانا بالقضية الفلسطينية واكثر صلابة ...

وعادت الى السويد لتحكي للعالم ما رأته وما لمسته من وحشية الانعزاليين ولتحكي حكاية تل الزعتر وبطولات اهاليه ... وقد انتهزنا فرصة وجود سميرة بيننا في زيارة قصيرة للبنان فكان لنا هذا اللقاء على صفحات « الثورة مستمرة » ...

س : ما الذي دفعك للعودة الى لبنان ؟

ج - بعد عودتي الى وطني وخلال هاتين السنتين كنت اعيش بجسمي في السويد واعيش بقلبي هنا ... كنت اتتبع عن كثب ما يجري في لبنان ... وعرفت بانه لا يمكن ان اعيش في السويد بعيدا عن « تل الزعتر » ...

قضيت معظم الفترة الماضية وحتى نيسان الماضي في علاج طويل حتى شفيت ساقي ...

ولا ابالغ اذا قلت بأن صورة « الزعتر » وبطولات اهاليه لم تفارقني لحظة واحدة خلال وجودي في السويد ولكن المجيء الى لبنان في تلك الآونة كان من الصعوبة بمكان .. وما ان انهيت فترة العلاج وشعرت ان ساقي قد تحسنت حتى سارعت بالعودة . اما لماذا جئت الى لبنان ، فقد جئت لزيارة ابناء « تل الزعتر » بشكل اساسي ...

وفي الحقيقة كان بودي خلال هذه الزيارة ان اطلع على التطورات التي حدثت خلال العامين الماضيين بشكل مفصل اكثر ولكن بسبب زيارتي القصيرة هذه وجدت نفسي مضطرة لقضائها بمجالسة ابناء « تل الزعتر » والحديث اليهم ... هؤلاء الذين تركتهم في حالة يرثى لها من الجوع والعطش والجراح والآلام .. والذين عاشت صورتهم في مخيلتي طيلة العامين الماضيين في السويد ...

ولذلك اقولها مرة ثانية بانني جئت لارى هؤلاء الذين احبهم ، وحياتي جزء من حياتهم ... هؤلاء الذين تركوا في نفسي صورة مشرقة - رغم كل المآسي - من البطولات النادرة والاصرار والتصميم على مواصلة الكفاح في ظل اقسى الظروف، لقد تعلمت منهم الصمود والتحدي الذي كان يبدو على وجه كل رجل وامرأة وطفل، اقول بأن الايام التي عشتها مع سكان « تل الزعتر » تجلت فيها الكبرياء والبطولة عندما كان الاطفال والفتيات ينقلون الطعام للمقاتلين تحت القصف العنيف مصرين على تحدي الموت وتخطي الجراح من اجل الكرامة والحرية ..

س : ما هي اول فكرة خطرت لك حين وطأت رجلاك ارض المطار ؟

ج : بما ان احدا لم يكن يعلم بقدومي الى لبنان وحتى اكون صادقة فان اول ما خطر في ذهني عند وصولي الى المطار هو الذهاب لزيارة عائلة الشهيد يوسف حمد - زوجي - وشقيقاته لاطمئن على صحتهن وصحة اطفالهن ولارى من نجا من هذه العائلة التي استشهد معظم افرادها ...

اثناء وجودي في السويد كنت شديدة القلق عليهم وعلى جميع سكان « تل الزعتر » .. كنت افكر بهم دائما ... واتساءل من بقي منهم على قيد الحياة ومن استشهد ؟ كنت في دوامة ، وكثيرا ما كان عقلي يتوقف عن التفكير ...

وعندما جئت لزيارتهم وجدت الجميع رغم صعوبة الظروف في وضع افضل من الذي تركتهم فيه ... رغم شدة حزني على اعزاء واحباء استشهدوا في سبيل الكرامة لكني اشعر بانني اكثر راحة الان .

س : ما هي مشاعرك وانت تقيمين لدى عائلة الشهيد يوسف ؟

ج : انت تعرفين انني احب عائلة الشهيد يوسف كثيرا لقد اصبحت جزءا من هذه العائلة... لقد قاتلنا معا وقد فقدت هذه العائلة الابوين الام توفيت منذ زمن طويل الاب سقط شهيدا كما سقط الاخوين الاكبرين شهيدين يوسف وسامي .. وجرح الاخوين الاصغرين ... لهذا كله لا استطيع ان اعبر عن مشاعري بكلمة واحدة فهي مزيج من الفرح والحزن والفخر ....

وانا اشعر بأن عائلة الشهيد يوسف هي عائلتي ولا استطيع الا ان اكون وفية للايام التي قضيناها معا ... وسأبقى على صلة دائمة مع هذه العائلة مهما تقلبت الظروف سواء ان كنت في السويد او في اي مكان اخر في العالم ...

س : لقد قمت بزيارة اهالي الزعتر في الدامور هلا تحدثينا عن انطباعاتك ...

ج : زيارتي لهم ذكرتهم « بتل الزعتر » هكذا احسست ... تذكرنا معا ايام الالم وقالوا لي : بانهم لا يشعرون بالراحة في الدامور .. انهم يحسون بالحنين للمكان الذي عاشوا فيه منذ ان غادروا فلسطين .. انهم في شوق دائم للعودة الى مخيم الصمود ... الى ان يتم تحرير الارض السليبة ...

قالوا لي اهالي الزعتر : انهم يشعرون بأن الدامور ليست لهم وليس من حقهم العيش فيها ان لها اصحابها واهلها الذين يجب ان يعودوا اليها ... احسست ان اهالي الزعتر رغم الالاف التي فقدوها من الرجال والشباب والاطفال ... طبيعة الاحداث في لبنان واسبابها وخلفياتها .... في « تل الزعتر » الا ان لديهم الاستعداد الكافي للعودة اليه حتى بمن تبقى من النساء والاطفال .... الغريب ان هؤلاء الناس لا يستسلمون لليأس ابدا فهم على استعداد للتضحية والنساء يقلن بأنهن سيواصلن تربية ابنائهن على حب فلسطين وأمل العودة اليها ... ان سكان الزعتر يشعرون بأنهم قد اعطوا كل شيء في المعركة ولم يأخذوا شيئا وان الطريق ما زال امامهم طويل للنضال رغم صعوبة الظروف ...

انهم لا يشعرون باليأس فما زالوا رجالا ونساء واطفالا يناضلون في صفوف الثورة .. وقد استأنفوا حياتهم الاجتماعية ، انهم يتزوجون الان وينجبون المزيد من الاطفال ، الجيل الذي سيحرر فلسطين ... وهذا دليل على انهم يصرون على مواصلة النضال وعلى المزيد من التضحيات ... ولقد ازداد تعلقهم بتل الزعتر ويتذكرون ايامه ليس فقط

لان ظروف الحياة كانت هناك افضل وانما لمزيج من المشاعر والاسباب ... لقد فقدوا احبائهم واصدقائهم هناك وضحوا على ارضه فأصبحت تربطهم بتل الزعتر ذكريات التأهب والاستعداد والتعبئة لتحرير الوطن السليب ....

س : عند وصولك الى السويد كيف استقبلت ؟

ج : لقد استقبلت في السويد كرمز لنضال تل الزعتر حيث آن الصحف والاذاعة والتلفزيون كانت تنشر يوميا وتتكلم عما يجري في تل الزعتر وقد كان للاطباء الذين خدموا في تل الزعتر فضلا كبيرا لما أبدوه من الاهتمام في ايصال اخبار « تل الزعتر » الى اكبر عدد من الناس حيث انهم تحدثوا وكتبوا عنه .....

لكن كل هذا كان يجري على الطريقة البورجوازية ، القضية كانت عندنا في السويد قضية انسانية ... الناس تترقب ء كما سنموت او لا نموت في الزعتر دون التعرض الى طبيعة الاحداث في لبنان واسبابها وخلفياتها .... لم يكن الرأي العام في السويد يعرف الكثير عن القضية الفلسطينية وجاءت احداث تل الزعتر وما خلفته من المشاعر الانسانية لتعطي السويديين فرصة اكبر للاطلاع على بعض أوجه القضية الفلسطينية ... ففي ظل ذروة المشاعر الانسانية التي سيطرت على الناس اصبح من السهل عليها ان نسير مظاهرات احتجاج ، وتقيم الندوات وتجمع التبرعات ، وتشرح اوجه القضية الفلسطينية ....

ولا انكر ان العملية كانت شاقة لافهام الرأي العام السويدي طبيعة المشكلة الفلسطينية . وساعطيك مثالا بسيطا : عندما وصلت الى السويد بعد خروجي من تل الزعتر تلقيت مئات الرسائل في الشهر الاول من السويد ذاتها ومن انكلترا وامريكا والهند وافريقيا والعديد من الدول في العالم ... كان اصحاب الرسائل جميعهم يتعاطفون مع الثورة الفلسطينية نتيجة ما سمعوه من اخبار عبر التلفزيون والاذاعة وما قرأوه في الصحف عن اخبار تل الزعتر ...

لقد طلبوا في رسائلهم المزيد من المعرفة والتوعية السياسية حول القضية الفلسطينية .. لقد كتبت الكثير الى بعضهم وما زال امامي الكثير لاكتب ...

واذا اردت ان تعرفي كيف استقبلني اهلي فأقول لقد استقبلوني في المطار كما اريدهم ان يكونوا تماما ... فقبل ان يسألوا عن صحتي سألوني عن سكان مخيم تل الزعتر وهذا كان تصرف جميع الاصدقاء الذين كانوا ينتظرونني في المطار والذي أثلج صدري ان والدي وعائلات الاطباء السويديين الذين كانوا في تل الزعتر تصرفوا اثناء حصارنا في تل الزعتر كما لو كنا نحن الذين نتصرف فقد ارسلوا عدة برقيات الى رئيس الولايات المتحدة والرئيس اللبناني والسوري ورئيس وزراء السويد والبابا ، يطالبون بانقاذ اهالي تل الزعتر وقد قالوا في برقياتهم : « ان لا فائدة من انقاذ ابنائنا نحن فقط فابنائنا جزء من ابناء تل الزعتر عليكم ان تنقذوا ٣٠ الف نسمة يتعرضون لحرب الابادة اننا لا نريد ان يخرج اولادنا من تل الزعتر ويبقى الاخرون ليلاقوا مصيرا فظيعا مرعبا ... » .

س : لقد لمسنا هنا نتائج الحملة الاعلامية التي قمت بها بعد عودتك للسويد فهل لك ان تحدثينا بتفصيل اكثر حول هذا الموضوع .....

ج : اثناء وجودي في المستشفى اجرت معي محطة (A.B.C) التلفزيونية حديثا مطولا وجاء الي فريق تلفزيوني من ايطاليا لكن التلفزيون والاذاعة السويدية لم يجريا معي حديثا لان النظام لا يرغب سياسيا في ايصال صوتي الى الرأي العام ... لكن صحفيا سويديا اجرى ثلاث حوارات طويلة معي وفي اعداد متتابعة طرح فيها احداث تل الزعتر منذ البداية .....

وقد نشرت هذه التحقيقات الثلاث في عدد كبير من الدول الاسكندنافية وبريطانيا وامريكا وفرنسا وبعض الدول العربية كما كتبت عدة مقالات وتحاليل في صحيفتنا المركزية (البروليتاريا) .